الفصل الأول

سيرته الأولى

obeikandl.com

obeikandl.com

١ ــ نشأته :

ولد الصحابي الجليل معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ في ربوع يثرب شمال الجزيرة العربية حيث ولد عام ١٨ قبل الهجرة[١] . ويثرب : هي المدينة المنورة التي نطق بها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾[٢] ، وقوله : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾[٣] . واسمها القديم يثرب ، وبه نطق القرآن أيضا فى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾[٤] . وسماها الله تعالى الدار بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[٥] . وسماها الرسول الكريم طيبة (بفتح الطاء المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة بعدها هاء) وطابة بإبدال الياء بعد الطاء بألف . قال النووي : وهما من الطِّيب ، وهو الرائحة الحسنة ، وقيل : من الطَّيِّب خلاف الردىء ، وقيل : من الطَّيِّب بمعنى الطاهر وقيل : من طِيبِ العيش . وكانت تدعى في الجاهلية (غلبة) لأن اليهود غلبوا عليها العماليق ، والأوس والخزرج غلبوا اليهود[٦] . ويقال : إن اليهود أتوا إليها من أيام موسى في أثناء حروبه مع

(١) وقيل : سنة ٢٠ قبل الهجرة (٦٠٣م) ، انظر ابن عبّاد الروندي « غيث المواهب العلية » ، القاهرة ١٩٧٠ ، ٨٢/١ .

(٢) سورة المنافقون ، الآية ٨ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١٠١ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ١٣ .

(٥) سورة الحشر ، الآية ٩ .

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٤ / ٢٨٥ ــ ٢٨٦ .

الكنعانيين . وكانوا أهل مدنية وذكاء وتجارة فأصبحت المدينة وثروتها فى أيديهم ، ونزح إليهم إخوانهم فتوافدوا إلى المدينة عشائر وأفرادا ، وتكاثروا وظهر منهم عدة قبائل ، أشهرها : قريظة ، والنضير ، وبنو هدل .

ثم نزلها الأوس والخزج من كهلان بن قحطان ، نزحوا إليها من اليمن في جملة النازحين بعد سيل العرم . ويقال لكلتا القبيلتين : بنو قيلة (بفتح القاف وسكون المثناة من تحت وفتح اللام وهاء في الآخر) . ولما ضعف اليهود صار لهم ملك يثرب ، وأصبحوا أعزّ أهلها ، وسار ذكرهم فيها ، وبنوا بها القصور والآطام . ولم يزالوا بها إلى حين هاجر إليهم النبى — صلى الله عليه وسلم — فآمنوا به ونصروه ، فسموا بالأنصار .

ولم تتحدث المراجع المتاحة عن حياة معاذ الأولى قبل دخوله الإسلام ، ولكننا نستطيع أن نتصور هذه الحياة فى ظل ازدهار الحياة الاقتصادية في يثرب لسببين هما :

— موقعها على طريق القوافل التجارية المتجهة إلى الشام .
— نشاط سكانها العرب في التجارة والزراعة وجاليتها اليهودية ، فكان بنو قينقاع صاغة ، وبنو النضير وبنو قريظة زرّاعا مثل يهود خيبر .

ولكننا للأسف لم نعثر على مايشفى غليلنا فى هذا الصدد ؛ فالأخبار عن حياته الأولى في المدينة تكاد تكون فى حكم المعدومة ، كما أن المؤرخين قد مروا عليها مر الكرام . غير أننا نعلم من سياق ما روى عنه أنه كان محبا للعلم ، شغوفا بطلبه من مصادره .

روى الدارمي في سننه أن معاذ بن جبل ، أخو بني سلمة ، وسعد بن معاذ ، أخو بني عبد الأشهل وخارجة بن زيد أخو بلحارث بن الخزرج ، سألوا نفرا من أحبار اليهود عن بعض مافى التوراة ، فكتموهم إياه ، وأبوا أن

يخبروهم عنه . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾(١) .

٢ ــ نسبه :

قال ابن قتيبة في المعارف(٢) : هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ ، وهو من الخزرج . ويكنى أبا عبد الرحمن ، وأمه هي : هند بنت سهل ، من جهينة . وأخوه لأمه : عبدالله بن جرير بن قيس ، بدري .

وقال ابن عبد البر(٣) : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن كعب ابن عمرو بن أرى بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد(٤)بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي ، يكنى أبا عبد الرحمن . وقد نسبه بعضهم في بني سلمة بن سعد بن علي . وقال ابن إسحاق(٥): معاذ بن جبل من بني جشم بن الخزرج ، وإنما ادعته بنو سلمة لأنه كان أخا سهل بن محمد ابن الجد بن قيس لأمه . ذكر الزبير عن الأشرم عن ابن الكلبي عن أبيه قال : رهط معاذ بن جبل بنو أري بن سعد أخي سلمة بن سعد بن الخزرج ، قال : ولم يبق من بني أري أحد وعداده في بني سلمة . وكان آخر من بقي منهم عبد الرحمن بن معاذ بن جبل مات بالشام في الطاعون ، فانقرضوا(٦).

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٥٩ .

(٢) نشر ثروت عكاشة ، ص٢٥٤ .

(٣) الاستيعاب ، على هامش الإصابة ، ص٣٥٥ .

(٤) جاءت « تريد » في معظم المراجع ، وانظر ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج١٠ / ١٨٦ .

(٥) السيرة لابن هشام ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢ ، ص٦٩٩ .

(٦) انظر النويري : نهاية الأرب ، ج١٩ ص٣٥٥ .

وقد اتفق العلماء على أنه كان شابا جميلا سمحا من خير شباب قومه . وقال الواقدي : كان من أجمل الرجال[1] . وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عنه : عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ .

وكان طوالا حسن الشعر عظيم العينين أبيض براق الثنايا . كما قال : إنه كان جعدا قططا من أجمل الرجال . وقال غيره : كان أرم ، جميلا براق الثنايا[2].

وقال في الإصابة [3] : كان من أفضل شباب الأنصار حلما وحياء وسخاءً ، وكان جميلا وسيما سمحا ، وعن أبي بحرية قال[4]: دخلت مسجد حمص فإذا أنا بفتى حوله الناس ، جعد قطط[5]، فإذا تكلم كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : معاذ بن جبل .

وعن أبي مسلم الخولاني قال : أتيت مسجد دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإذا شاب فيهم أكحل العين برّاق الثنايا . كلما اختلفوا في شيء ردّوه إلى الفتى ، قال : قلت لجليس لي : من هذا ؟ قالوا : هذا معاذ بن جبل .

وعن الواقدي ، عن أشياخ له قالوا : كان معاذ بن جبل رجلا طوالا أبيض حسن الشّعر عظيم العينين مجموع الحاجبين جعدا قططا .

وكان عبد الله بن عمرو يقول : حدثونا عن العاقِلَيْنِ ، فيقال : من العاقلان ؟ فيقول : معاذ وأبو الدرداء .

---

(١) أجمع العلماء على أنه كان جميلا وسيما ، غير أن ابن قتيبة قال : إنه كان أعرج ، وأدرجه ضمن « العرج » ، انظر المعارف ص٥٨٣ ، وقد انفرد ابن قتيبة بهذه المقولة ولم يقع لي مايثبت أو يؤكد ذلك في المراجع الأخرى .

(٢) ابن قتيبة ، المرجع السابق ، ص٢٥٤ .

(٣) الإصابة جـ٩ صـ٢٢٠ رقم الترجمة ٨٠٣٢ .

(٤) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج١ ، ص٤٩٠ . واسم أبي بحرية : يزيد بن قطب السّكوني .

(٥) القطط : الشديد الجعودة ، وقيل : الحسن الجعودة .

٣ ــ إســـلامه :

أسلم معاذ بن جبل وهو ابن ثماني عشرة سنة . وهو أحد السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة التي أسلم فيها الأوس والخزرج . وكان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما أراد الله ــ عز وجل ــ إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعده له ، يخرج في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ، فيعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة إذ لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً . ولما لقيهم قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم ؟ قالوا : بلى : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله ــ عز وجل ــ وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن . فأجابوه بما دعاهم إليه ، وبأنهم صدقوه ، ثم انصرفوا عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا(١) .

وقد حدث أنهم لما قدموا إلى المدينة ، أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من أهل الشرك ، منهم عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة ، وكان ابنه معاذ بن عمرو قد شهد العقبة ، وبايع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في فتيان منهم ، وبايع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من بايع من الأوس والخزرج في العقبة الآخرة ، وهي بيعة الحرب(٢) . وكان معاذ بن جبل من ضمن المبايعين الذين بايعوا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في هذه البيعة .

وقد تمت بيعة العقبة الآخرة فى الموسم في ذي الحجة ، حيث سار جماعة منهم وواعدوا الرسول أوسط أيام التشريق بالعقبة .

---

(١) سيرة ابن هشام ، ١/٢٧٧ ــ ٢٧٨ ، والطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢/٣٥٣ ــ ٣٦٥ .

(٢) الطبري ، المرجع السابق ، ٢ /٣٦٨ .

فلما كان الليل خرجوا بعد مضي ثلثه مستخفين يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة وهم سبعون رجلا ، من بينهم معاذ بن جبل ، ومعهم امرأتان : نسيبة بنت كعب أم عمارة ، وأسماء أم عمرو بن عدي من بني سلمة (أم منيع السلمية) ، وجاءهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومعه عمه العباس ابن عبد المطلب وهو كافر ولكنه أحب أن يستوثق لابن أخيه ، وكان هو أول من تكلم(١). ثم تكلم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتلا القرآن ورغب في الإسلام . فبايعه الخزرج والأوس على حرب الأحمر والأسود ، ورجعوا إلى المدينة ، وكان قدومهم في ذي الحجة ، وأقام رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ، إلى أن أذن له الله ــ سبحانه وتعالى ــ بالهجرة إلى المدينة في شهر ربيع الأول ، قدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت منه ، وبدأ الرسول يؤاخي بين المهاجرين والأنصار ، فآخى بين معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود (٢)، وقيل : إن الرسول آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب (٣).

ومن تلك اللحظة لم يفارق معاذ بن جبل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشهد معه بدرا وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ثم شهد معه كل المشاهد .

وفي السنة الثامنة للهجرة ، حين خرج الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى حنين استخلف معاذا على مكة ، وأمره أن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين . ثم صدر إلى المدينة وخلّف معاذا على أهل مكة (٤).

وقال ابن إسحاق : ثم سار رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الجعرانة معتمرا(٥) . وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنة . فلما فرغ من عمرته

(١) انظر ابن الأثير (الكامل) ٢/٦٩ .
(٢) وهو من كبار الصحابة ، انظر : ابن حجر (تهذيب التهذيب) ٦ /٢٧ .
(٣) انظر (نهاية الأرب) للنويرى ، ١٩ / ٣٥٦ .
(٤) الذهبي (تاريخ الإسلام : المغازي) ص ٥٠٨ .
(٥) كان هذا في شهر ذي القعدة من السنة الثامنة للهجرة .

انصرف إلى المدينة ، واستخلف عتّاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذا يفقه الناس ويعلمهم القرآن (١). وكانت هذه أول مهمة يعهد بها رسول الله إلى معاذ بن جبل وعمره يناهز السادسة والعشرين . وهذا يدلنا على مدى ثقة الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى معاذ وفى علمه وفقهه ، وكيف لا وقد تربى في مدرسة الرسول الكريم وترعرع في رياضها ومناهلها مدة تزيد على ثمانية أعوام ، اختصّه فيها الرسول الكريم بالتربية الإسلامية والثقافة القرآنية وهما خير تربية وثقافة ، ويالها من تربية أي تربية ، ويالها من ثقافة أي ثقافة !

٤ ــ فى مدرسة الرسول

كان الرسول الكريم يتباهى بأصحابه ويحبهم ويقربهم إليه . وكان ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ يخشى عليهم الاختلاف من بعده . روى ابن عساكر عن عمر ــ رضى الله عنه ــ أن الرسول ﷺ قال : « سألت ربي فيما يختلف أصحابي من بعدي ؟ فأوحى إليّ : يامحمد ! إن أصحابك عندى بمنزلة النجوم فى السماء ، وبعضها أضوأ من بعض ، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندى على هدى »(٢).

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ ينهى عن سب أصحابه ، ويقول : « لاتسبوا أصحابي ، فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهبا ما بلغ مُدَّ أحَدِهم ولا نصيفه »(٣).

وكان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ شديد الاهتمام بالشبان الذين انشرح قلبهم للإسلام ، وتربيتهم وتوجيههم وتشجيعهم وإتاحة كل الفرص أمامهم

---

(١) ابن الأثير ، المرجع السابق ، ٢/١٨٥ .

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخه عند ترجمة زيد الحواري ، والسجزى فى كتاب الإبانة ، وكذا البيهقى وابن عدى كلهم عن عمر بن الخطاب . انظر فيض القدير للمناوى ٤ /٧٦ .

(٣) رواه أبو داود في سننه ، باب النهى عن سب أصحاب رسول الله ، عن أبي سعيد . وروى البخاري في صحيحه هذا الحديث بلفظ آخر في باب فضائل الصحابة .

لكي يتحملوا المسئولية ويتدربوا على القيادة الإسلامية . وكان من حظ الكثير منهم أن اكتسبوا هذه الصفات على يد المربي الأعظم سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ . وكان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحب معاذا ويقربه إليه ويبذل له النصائح ويشرح له مااستغلق عليه من أمور دينه أو دنياه بعد أن استشف الرسول الكريم استعداد معاذ ومواهبه التي تؤهله لذلك . وكان أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا تحدثوا وفيهم معاذ بن جبل نظروا إليه هيبة له .

ولا يعلم لمعاذ غيبة في حياة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلا إلى اليمن التي قدم منها بعد وفاة النبي ــ عليه السلام ــ .

وعن معاذ بن جبل ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال : أخذ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بيدى ثم قال : « يامعاذ والله إني لأحبك » فقال له معاذ : بأبي وأمي يارسول الله ، وأنا ــ والله ــ أحبك . فقال : « أوصيك يامعاذ لاتدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[1] .

وكان الرسول الكريم يدافع عنه ويستمع إليه وإلى آرائه ، وكان يقول لكل من يتكلم عنه :

« دع عنك معاذا ! ، فإن الله يباهي به الملائكة »[2] .

وكان معاذ يحضر كل مجالس الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويستمع إلى كل مايقوله النبي الكريم لأصحابه أو للوفود التي كانت تحضر للزيارة والدخول في الإسلام .

---

(١) أخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم : عن معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ـوأبو نعيم ، حلية الأولياء ٢٤١/١ . ، و٥ /١٣٠ .

(٢) الحكيم الترمذي في النوادر عن معاذ : والمناوي : كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق ١٣٢/١ (على هامش الجامع الصغير للسيوطي) .

ذكر الطبري في تاريخه في رواية طويلة ، أنه حدث في أحد هذه المجالس التي كان الصحابة يتدارسون فيها مع الرسول الأمين أمور دينهم ، أن ذكر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ باب التوبة عندما ينفخ في الصور عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ، أن سأل عمر بن الخطاب الرسول الكريم عن هذا الباب قائلا : « أنا وأهلي فداؤك يارسول الله ! فما باب التوبة ؟ قال : ياعمر ! خلق الله ــ عز وجل ــ باب التوبة خلف المغرب ، مصراعين من ذهب ، مكللا بالدر والجوهر ، مابين المصراع إلى المصراع الآخر مسيرة أربعين عاما للراكب المسرع ، فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ، ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحا من لدن آدم صبيحة تلك الليلة إلّا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ، ثم ترفع إلى الله ــ عز وجل ــ .

وكان معاذ بن جبل حاضرا ، فقال : بأبي أنت وأمي يارسول الله ! وما التوبة النصوح ؟ قال : « أن يندم المذنب على الذنب الذي أصابه فيعتذر إلى الله ثم لايعود إليه ، كما لايعود اللبن إلى الضرع » .

وعن أنس بن مالك قال : ذكر لي أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال لمعاذ : « من لقي الله لايشرك به شيئاً دخل الجنة . قال ألا أبشر الناس ؟ قال : لا ! إني أخاف أن يتكلوا »[1] .

وفي الصحيحين وغيرهما عن جابر بن عبد الله ــ رضى الله عنه ــ أن معاذا كان يصلي العشاء خلف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم يذهب إلى مسجد قومه ، وكانوا أهل عمل لايسهل عليهم صلاة العشاء خلف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيصلي بهم حتى شكاه مرة بعض الناس لرسول

---

(١) البخاري (كتاب العلم) باب : من خص بالعلم قوما دون قوم ... الخ جـ١ ص٣٧ ط/ دار إحياء الكتب العربية .

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه يقرأ في العشاء بالبقرة وآل عمران ، وأنهم أهل عمل لايستطيعون ذلك ، فغضب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أشد الغضب وقال : « أفتان أنت يامعاذ ! من أمّ بالناس فليخفف ، كان يكفيك أن تقرأ : (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) ، (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) الحديث(١) .

وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أوجب ذو الثلاثة » قال معاذ : فقلت : يارسول الله وذو الاثنين ؟ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « وذو الاثنين » : قال : يعني من قدم بين يديه ثلاثة من ولده(٢) .

وذكر موفق الدين بن قدامة في « كتاب التوابين » ، في باب أخبار التائبين من آصحاب رسول الله (٣)، أن كعب بن مالك الأنصاري قد تخلف عن غزوة تبوك وما حدث له مع النبي ﷺ قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها ، إلا في غزوة تبوك . غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها . إنما خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يريد عير قريش . حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام . وما أحب أن لي بها مشهد بدر ــ وإن كانت بدر أذكر في الناس منها ــ كان من خبرى أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ــ والله ــ ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة . ولم يكن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يريد غزوة إلا وَرَّى بغيرها . حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حر

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ١ ص٩٦ ، ٩٧ رقم ٢٦٦ إلا أنه أورد « والشمس وضحاها » مكان « والليل إذا يغشى » .

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ، ٢ /٧٧ رقم ٥٦٢ طبع دار الكتاب اللبناني .

(٣) نشرة جورج مقدسي ، ص٨٨ ــ ٨٩ .

شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ، ومفازا وعدوًّا كثيرا . فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم . فأخبرهم بوجهه الذي يريد . والمسلمون مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كثير .

قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن يستخفي له ، مالم ينزل فيه وحي الله . وغزا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تلك الغزوة ، حين طابت الثمار والظلال . وتجهز رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمسلمون معه . فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم . فأرجع ولم أقض شيئاً . فأقول في نفسي : أنا قادر عليه . فلم يزل يتمادى بي ، حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئاً . فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم . فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً . ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً . فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدركهم . وليتني فعلت ! فلم يقدر لي ذلك . فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء . ولم يذكرني رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى بلغ تبوك . فقال وهو جالس في القوم بتبوك : « ما فعل كعب » ؟ فقال رجل من بني سلمة : يارسول الله ! حبسه برداه ونظره في عطفه . فقال معاذ بن جبل : بئس ماقلت . والله يارسول الله ! ما علمنا إلا خيراً . فسكت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .[1] .

وهكذا كان لسانه عفا لايغتاب إنسانا وإنما يدافع عن أصحابه ويتكلم عنهم خيرا . وفي غزوة تبوك هذه خرج معاذ بن جبل كالعادة مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء . قال معاذ :

---

(١) الذهبي ، المغازي ، ص ٥٤٢ ، وطه حسين ، مرآة الإسلام ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ .

فأخّر الصلاة يوما ، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ، ثم دخل . ثم خرج فصلّى المغرب والعشاء جميعا . ثم قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمسّ من مائها شيئاً حتى آتى » . قال معاذ : فجئناها وقد سبق إليها رجلان ، والعين مثل الشّرك تبضّ بشيء من ماء . فسألهما رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « هل مسستما من مائها شيئاً » ؟ قالا : نعم ! فسبّهما ، وقال لهما ماشاء الله أن يقول . ثم غرفوا من العين قليلا قليلا ، حتى اجتمع فى شيء . ثم غسل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيه وجهه ، ثم أعاد فيها . فجرت العين بماء كثير ، فاستقى الناس . ثم قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « يوشك يامعاذ ، إن طالت بك الحياة ، أن ترى ما هنا قد ملىء جنانا »[1] .

وكان معاذ بن جبل لايخفي شيئاً عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى في أشد خصوصياته . ذكر الزهري بن أبي كعب بن مالك قال : كان معاذ بن جبل من خير شباب قومه ، لا يسأل شيئـاً إلا أعطاه ، حتى ادّان دينا أغلق ماله[2] ، فكلم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يكلم غرماءه أن يضعوا له شيئاً[3] ، ففعل فلم يضعوا له شيئاً . فدعاه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلم يبرح حتى باع ماله وقسمه بين غرمائه ، فقام معاذ لا مال له[4] .

وقال ابن الجوزي : وكان غرماؤه من اليهود ، فلهذا لم يضعوا له شيئاً .[5] .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل (٦٠/٧ ــ ٦١) ، وانظر الذهبي ، المرجع السابق ، ص٥٢٨ .

(٢) أى : أثقله الدين ولم يف المال بهذا الدين .

(٣) أي : ينقصوا منه شيئـاً .

(٤) أبو نعيم ، المرجع السابق ، ص٢٣١ ، وأورد النويري هذه الرواية في نهاية الأرب ، المرجع السابق ، ١٩/ ٣٥٦ ــ ٣٥٧ ، عن ابن عبد البر الذي أوردها في الاستيعاب ، ص٣٥٨ .

(٥) صفوة الصفوة ، ج١ / ٤٩٢ .

وكان الرسول يسأله عن أمواله ويتفقد أموره . وقد حدث ذات صباح أن سأله الرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « كيف أصبحت يامعاذ ؟ » فقال : أصبحت مؤمناً حقا يارسول الله ! فقال النبي : « إن لكل قال مصداقا ، ولكل حق حقيقة ... فما هي حقيقة إيمانك ؟ وما مصداق ماتقول ؟ » قال معاذ : يانبي الله ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أني لا أمسي ، ولا أمسيت مساء قط ، إلا ظننت أني لا أصبح ، ولا خطوت خطوة إلا ظننت إنى لا أتبعها أخرى ، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها مع نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله ، وكأني أرى أهل الجنة في الجنة ينعمون ، وأهل النار في النار يعذبون . قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « عرفت فالزم »[1] .

وعن معاذ بن جبل ــ رضى الله تعالى عنه ــ قال : تصديت لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يطوف ، فقلت : يارسول الله أرنا شر الناس . فقال : « سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر ، شرار الناس شرار العلماء في الناس » .[2] .

وأخرج أحمد في مسنده [3] ، من حديث معاذ بن جبل أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خرج بالناس قبل غزوة تبوك فلما أن أصبح صلى بالناس صلاة الصبح ثم إن الناس ركبوا فلما أن طلعت الشمس نعس الناس على أثر الدلجة ولزم معاذ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتلو أثره والناس تفرقت بهم ركابهم على جواد الطريق تأكل وتسير فبينما معاذ على أثر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وناقته تأكل مرة وتسير أخرى عثرت ناقة معاذ فكبحها بالزمام فهبت حتى نفرت منها ناقة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم إن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كشف عنه قناعه فالتفت

---

(١) أبو نعيم في الحلية جـ١ ، ص٢٤٢ .
(٢)انظر حلية الأولياء لأبى نعيم ٢٤٢/١ .
(٣) مسند الإمام أحمد ٢٤٥/٥ ، ٢٤٦ .

فإذا ليس من الجيش رجل أدنى إليه من معاذ فناداه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : « يامعاذ ! قال : لبيك يانبي الله . قال : « ادن دونك » فدنا منه حتى لصقت راحلتاهما إحداهما بالأخرى ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ماكنت أحسب الناس منا كمكانهم من البعد » . فقال معاذ : يانبي الله نعس الناس فتفرقت بهم ركابهم ترتع وتسير . فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « و أنا كنت ناعسا » فلما رأى معاذ بشرى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إليه وخلوته له قال : يارسول الله : ائذن لي أن أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني ، فقال نبي الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « سلني عما شئت » : قال : يانبي الله حدثني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك عن شيء غيرها . قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « بخ بخ بخ ، لقد سألت بعظيم ثلاثا ، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير ، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير ، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير ــ فلم يحدثه بشيء إلا قاله له ثلاث مرات ، يعني أعاده عليه ثلاث مرات حرصا لكيما يتقنه عنه ، فقال نبي الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إن شئت حدثتك يامعاذ برأس هذا الأمر وقوام هذا الأمر وذروة السنام » فقال معاذ : بلى بأبي وأمي أنت يانبي الله فحدثني فقال نبي الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إن رأس هذا الأمر أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وإن قوام هذا الأمر إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وإن ذروة السنام منه الجهاد في سبيل الله ، إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » . وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « والذي نفس محمد بيده ماشحب وجه ولا اغبرت قدم في عمل تبتغي فيه درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله ، ولا ثقل ميزان عبد كدابة تنفق له في سبيل الله أو يحمل عليها في سبيل الله .

سأل معاذ بن جبل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن أفضل الإيمان فقال : « أنْ تُحِبَّ لِلّهِ وَتَبْغَضَ لِلّه ، وتُعْمِلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ الله » . قال معاذ : وماذا يارسول الله ؟ قال : « أنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، وَأنْ تَقُولَ خَيْراً أوْ تَصْمُتَ » .[1] .

روى معاذ بن جبل عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه سمع رجلا يقول : يا ذا الجلال والإكرام . فقال : « قَد اسْتُجِيبَ لَكَ ، فَسَلْ » .[2] .

وكان الرسول الكريم يفسح صدره لأسئلة معاذ بن جبل ويرد على كل استفساراته راميا من وراء ذلك أن يفقهه في الدين ويعده لتحمل رسالة نشر الإسلام الحنيف في ربوع البلاد .

وعن أنس ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « أعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَل »[3] . وعن أبي سعيد الخدري قال : قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أعْلَمُ النَّاسِ بِحَلَالِ الله وَحَرَامِهِ » .

وقد لقبه الرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بإمام العلماء . قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ إمامُ الْعُلَمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وفي الخبر ، إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنْصَبُ لِوَاءُ الصِّدْقِ لِأبِي بَكْرٍ ــ رضي الله عنه ــ وَكُلَّ صِدِّيقٍ يَكُونُ تَحْتَ لِوَائِهِ ، وَلِوَاءُ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ــ رضي الله عنه ــ وَكُلَّ عَالِمٍ وَفَقِيهٍ يَكُونُ تَحْتَ لِوَائِهِ ، وَلِوَاءُ الزُّهْدِ لِعُمَرَ ــ رَضِيَ الله عنه ــ وَكُلَّ زَاهِدٍ يَكُونُ تَحْتَ لِوَائِهِ ، وَلِوَاءُ الْفَقْرِ لِأبِي

(١) من حديث ابن لهيعة . انظر ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها نشرة توري ، ليدن ، ١٩٢٠ ، ص٢٩٧ .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد جـ٥ صـ٢٣٦ .

(٣) انظر الإمام عبد الرحيم بن أحمد ، دقائق الأخبار ، ص٣٥ .

الدَّرْداءِ ــ رضي الله عنه ــ وَكُلَّ فَقِيرٍ يَكُونُ تَحْتَ لِوَائِهِ ، وَلِوَاءُ السَّخَاوَةِ لِعُثْمَانَ ــ رضي الله عنه ــ وَكُلَّ سَخِيٍّ يَكُونُ تَحْتَ لِوَائِهِ ، وَلِوَاءُ الشُّهَدَاءِ لِعَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ وَكُلَّ شَهِيدٍ يَكُون تَحْتَ لِوَائِهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ــ تعالى ــ : (يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ)[1] .

وروى الطبراني في معجمه الأوسط والصغير أن معاذ بن جبل ــ رضي الله عنه ــ خرج يطلب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبصر به فى كهف سلع[2] وهو ساجد . قال : فلم يرفع رأسه حتى أسأت به الظن ، فظننته قبضت روحه . فقال : « جَاءَنِي جِبْرِيلُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ : إِنَّ الله ــ تعالى ــ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ : مَا تُحِبُّ أَنْ أَصْنَعَ بِأُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : الله أَعْلَمُ . فَذَهَبَ ثُمَّ جَاءَ إِلَيَّ فَقَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ : لَا أَسُوءُكَ فِي أُمَّتِكَ . فَسَجَدْتُ . وَأَفْضَلُ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الله ــ عز وجل ــ السُّجُودُ »[3].

سأل معاذ بن جبل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : يارسول الله ، أنؤاخذ بما نقول ؟ فقال الرسول : « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَابْنَ جَبَلٍ ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟ » .

وعن مكحول أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال في هذا الحديث لمعاذ : « إِنَّكَ مَاكُنْتَ سَاكِتاً ، فَأَنْتَ سَالِمٌ ، فإذَا تَكَلَّمْت فَلَكَ أَوْ عَلَيْكَ » .

وقال معاذ بن جبل : يارسول الله أوصني ، فقال له الرسول : « اعبُدِ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَا هُوَ أَمْلَكُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ . وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ » .[4].

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٧١ .

(٢) وهو كهف بني حرام ، مكان يقصد للتبرك به .

(٣) عبد الغني النابلسي ، الحقيقة والمجاز ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٤٠٢ .

(٤) الإحياء للغزالي ، ج٣ ، ص١١٦ ــ ١١٧ .

وعن معاذ بن جبل ــ رضي الله عنه ــ أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ تلا هده الآية : «يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا»(١) ، فقلت : يارسول الله : ما قوله : «فَتَأْتُونَ أفواجاً » ؟ قال : تُحْشَرُ أُمَّتِي عَلَى عَشْرَةِ أَفْوَاج : صِنْفٌ عَلَى صِفَة الْقِردَةِ وَهُمُ الْقَدَرِيَّةُ ، وَصِنْفٌ عَلَى صُوَرَةِ الْخَنَازِير وَهُمُ الْمُرْجِئَةُ ، وَصِنْفٌ عَلَى صِفَةِ الْكِلَابِ وَهُمُ الْحَرُورِيَّةُ ، وَصِنْفٌ عَلَى صُوَرَةِ الْحُمُرِ وَهُمُ الرَّافِضَةُ ، وَصِنْفٌ عَلَى صُوَرَةِ الذَّرِّ وَهُمُ الْمُتَكَبِّرُونَ ، وَصِنْفٌ عَلَى صُوَرَةِ الْبَهَائِمِ وَهُمْ أَكَلَةُ الرِّبَا ، وَصِنْفٌ عَلَى صُورةِ السِّبَاعِ وَهُمُ الزَّنَادِقَةُ ، وَ صِنْفٌ يُحْشَرونَ عَلَي وُجُوهِهِمْ وَهُمُ المُصَوَّرونَ وَالهَمَّازُونَ وَاللَّمَّازُونَ وَالسُّعَاةُ ، وَصِنْفٌ رُكْبَانٌ وَهُمُ الْمُقَرَّبُونَ ، وَصِنْفٌ مُشَاةٌ وَهُمْ أَهْلُ الْيَمِينِ » .

ومن تعاليم الرسول الكريم لمعاذ :

« أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ ؟ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ دَيْناً لَأَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ ؟ قُلْ يَامُعَاذُ : (اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(٢). رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرحِيمَهُمَا تُعْطِيهِمَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ » (٣).

« يَامُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ : مَامِنْ أحد يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُول اللَّهِ صِدْقاً مِنْ قَلْبِه إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ » (٤).

---

(١) سورة النبأ ، ١٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٢٦ .

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير عن أنس ــ رضي الله عنه ــ .

(٤) متفق عليه . من حديث أنس ــ رضي الله عنه :ــ انظر اللؤلؤ والمرجان صـ ٨ رقم ٢٠ .

وقال له النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : « الا أدُلّكَ عَلى أبْوَابِ الخَيْرِ ؟ » قَالَ مُعَاذٌ : بَلَى يَارَسُولَ الله . قَالَ : « الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيَئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ». (١) .

---

(١) رواه الترمذي فى حديث وصححه . (كتاب الصيام) باب فضل الصوم .

obeikandl.com